15

ثلاثة اجزاء ايضا قسم لله تعالى وهو اوقات اقامة الصلاة وتعليم
العلوم وقسم لنفسه وهو ما يدعو اليه ضرورته وقسم للناس
وهو السعي في حوائجهم فلم خص تلك القسمة لمدخله فقط وقد
يجاب بانهم يعلمون احواله في خروجه فلم يحتج الى ذكرها لهم بخلافها
في دخوله فاحتاج الى ذكرها وايضا الغالب فيمن في بيته انه
يشتغل بعيال او حوائجه في اكثر الزمن فبين انه صلى الله عليه
وسلم ليس كذلك وايضا فهو في خروجه اكثر زمنه مصروف
للنفع العام وفي دخوله بالعكس فكان بيان هذا اهم ثم رايت
بعضهم اجاب عن ذلك بما لا يفهم بعضه ولا ينفع باقيه فاجتنبه
قال فسالته عن مجلسه اي احواله في وقت جلوسه مع الناس
وهذا من ذكر الاخص بعد الاعم اذ ذكر احوال مخرجه يدخل فيها
احوال ذكر مجلسه المذكور فقال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يقوم ولا يجلس الا على ذكر اي ذكر الله تعالى كما في نسخة
اي الا على حال كونه متلبسا بالذكر واذا انتهى الى قوم جلس حيث
ينتهي به صلى الله عليه وسلم خلافا لمن زعم ان الضمير للمجلوس المجلس
لكرم اخلاقه ومزيد تواضعه اذ لم يتكلف خطوة زايدة على الحاجة
لحظ نفسه حتى يجلس في صدر المجلس ويامر بذلك اي بالجلوس
حيث انتهى المجلس اعراضا عن رعونات النفس واغراضها الفاسدة
المنشئة عن مزيد التكبر والترفع يعطي كل جلسائه بنصيبه من البشر
والكرامة اللايقين به وافراد الضمير لان كل اذا اضيفت الى جمع دلت
على ان المراد كل فرد من افراد ذلك الجمع وادخل الباء على المفعول
الثاني تاكيدا ويصح انه محذوف وان بنصيبه صفته اي شيئا يقلد
نصيبه ولا يحسب جليسه الى اخره فلكمال خلقه وحسن معاشرته
ظن كل من جلسائه لما ظهر له من عظيم بشره وقربه انه اقرب الناس
اليه وهذا هو الغاية في الكمال وقوله ان احدا اكرم عليه منه
من جالسه او فاوضه اي من امثاله كما هو ظاهر لا مطلقا والا فمن
المعلوم المقرر ان الصحابة باسرهم كانوا يعتقدون ان ابا بكر مثلا
كان اكرم عليه منهم في حاجة صابره اي صبر على ما يصدر منه ولا
يبادر بالقيام عنه ولا يقطع كلامه بل يتم معه حتى يكون هو المنصرف

عنه صلى

عنه صلى الله عليه وسلم وهذا من عظيم خلقه وكريم تواضعه صلى الله عليه
وسلم وهذا انما يتعلق بمجالسه واما مفاوضه فالمراد بمصابرته فيها ان
يصبر له صفته حتى ينقضي كلامه بمفاوضته وحتى يكون هو المنصرف
ومن سأله حاجة لم يرده الا بها ان تيسرت عنده او بميسور اي
حسن من القول ليكون ذلك مسليا له عن حاجته وهذا من كمال
سخائه ومروته وحيائه ومن ذلك الميسور ان يعده بعطاء ان جاءه
شيء كما وقع له مع كثيرين بل لما استخلف ابو بكر رضي الله عنه وجاء
مال قال من كان له على رسول الله عدة فليات فجاءه الذين
كان وعدهم صلى الله عليه وسلم فوفى لهم او يرغبه عن الدنيا
وفتنها حتى يخرج حبها من قلبه او يشفع له الى من يعطيه من مياسير
اصحابه قد وسع الناس بسطه بشره وطلاقة وجهه وخلقه اي
امداداته الباطنة والظاهرة فصار لهم ابا في الشفقة والرحمة
واعظم من اب لان غاية الاب ان يسعى في صلاح الظاهر وهو صلى
الله عليه وسلم في صلاح الظاهر والباطن ومن ثم اشفق على اهل
الكبائر من امته وامرهم بالستر فقال من بلي بهذه القاذورات
يعني المحرمات فليستتر وامر امته ان يستغفروا للمحدود ويترحموا
عليه لما سبوه ولعنوه فقال قولوا اللهم اغفر له اللهم ارحمه
وقال لهم في رجل كان كثيرا ما يوتى به وهو سكران بعد تحريم الخمر
فلعنوه مرة فقال لا تلعنوه فانه يحب الله ورسوله وصاروا عنده
في الحق سواء فيوصل اليهم من معارفه وعلومه ما يستحقونه
من غير ان يميز احدا منهم على مساويه في التاهل لقبول ذلك
والاستعداد لكمال عدله صلى الله عليه وسلم مجلسه مجلس علم
يفيدهم اياه وحياء عظيم يتحلون به ومن ثم كانوا يجلسون على
غاية من الادب كانما على رؤوسهم الطير وصبر منه على جفائهم وامانة
منهم على ما يقع فيه بحيث لا يمكن لاحد منهم ان يزيد على ذلك او ينقص
عنه شيئا وان قل ذلك لما انه كان في مجلس تذكير بالله وترغيب
فيما عنده وترهيب من سطوات انتقامه اما باقرائهم القران غضا
طريا او بما اتاه الله تعالى من الحكمة والموعظة الحسنة وتعليمهم
احكام دينهم واسراره الظاهرة والباطنة فترق قلوبهم ويزهدون

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)